

تفسير البحر المحيط

@ 136 @ على تمردهم في الكفر والمبالغة فيه ، حيث نسبوا الموجَد الأشياء من العدم
الصرف إلى الوجود الغني بذاته عما أوجده الوصف الدال على الافتقار لبعض ما أوجده ،
ونسبوا العكس إلى أنفسهم ، وجاءت الجملة مؤكدة باللام مؤذنة بعلمه بمقالتهم ومؤكدة له ،
وحيث نسبوا إلى الله ما نسبوا ، أكدوا الجملة بأن على سبيل المبالغة . وحيث نسبوا إلى
أنفسهم ما نسبوا لم يؤكدوا ، بل أخرجوا الجملة مخرج ما لا يحتاج إلى تأكيد ، كأنَّ
الغنى وصف لهم لا يمكن فيه نزاع ، فيحتاج إلى أنْ يؤكد . .
{ سَنَذَكُّتُبُ مَا قَالُوا وَفَقَتْلَاهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِرَغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِّ يَقْر } الظاهر إجراء الكتابة على أنها حقيقة ، قال ذلك كثير من العلماء
. وأنها تكتب الأعمال في صحف ، وأن تلك الصحف هي التي توزن ، ويحدث الله سبحانه وتعالى
فيها الخفة والثقل بحسب ما كتب فيها من الخير والشر . وقيل : سنكتب ما قالوا في القرآن
حتى يعلم القوم شدة تعنتهم وحسدهم في الطعن عليه صلى الله عليه وسلم) . وذهب قوم : إلى
أن الكتابة مجاز ومعناها الإحصاء للشيء وضبطه وعدم إهماله وكيونونه في علم الله شيئاً
محفوظاً لا ينسى ، كما يثبت المكتوب . وذهب إلى أن معنى سنكتب : سنوجب عليهم في الآخرة
جزاء ما قالوه في الدنيا كقوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } وجاء سنكتب بلفظ
المستقبل دون لفظ الماضي ، لأنه تضمن المجازاة على ما قالوه . وفيه من التهديد والوعيد
ما لا يخفى . ونسب إليهم قتلهم الأنبياء ، وإن كان من فعل آبائهم ، لما كانوا راضين به .
وقد سموا أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهموا بقتله ، ودل هذا القول وهذا الفعل
على جميع الأقوال والأفعال القبيحة التي صدرت منهم . إذ القول في هذه الآية أشنع الأقوال
في الله تعالى ، والقتل أشنع الأفعال التي فعلوها مع أنبياء الله تعالى ، وتشريك القتل مع
هذا القول يدل على أنهما يسببان في استحقاق العقاب . ولما كان الصادر منهم قولاً وفعلًا
ناسب أن يكون الجزاء قولاً وفعلًا ، فتضمن القول والفعل قوله تعالى : ونقول ذوقوا عذاب
الحريق . وفي الجمع بين القول والفعل أعظم انتقام ، ويقال للمنتقم منه : أحس وذق . .
وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه لما طعنه وحشي : ذق عقق ، واستعير لمباشرة العذاب
الذوق ، لأن الذوق من أبلغ أنواع المباشرة ، وحاستها متميزة جداً . والحريق : المحرق
فعليل بمعنى مفعول ، كأليم بمعنى مؤلم . وقيل : الحريق طبقة من طباق جهنم . وقيل :
الحريق الملتهب من النار ، والنار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة ، والملتهبة أشدها .
والظاهر أنَّ هذا القول يكون عند دخولهم جهنم . وقيل : قد يكون عند الحساب ، أو عند

الموت . وأنَّ وما بعدها محكى بقالوا . وأجاز أبو البقاء أن يكون محكياً بالمصدر ، فيكون من باب الأعمال . قال : وإعمالُ الأول أصلٌ ضعيف ، ويزداد ضعفاً لأن الثاني فعل والأول مصدر ، وإعمال الفعل أقوى . والظاهر أنَّ ما فيما قالوا موصولة بمعنى الذي ، وأجيز أن تكون مصدرية . .

وقرأ الجمهور : سنكتب وقتلهم بالنصب . ونقول : بنون المتكلم المعظم . أو تكون للملائكة . وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء على الغيبة . وقرأ حمزة : سيكتب بالياء مبنياً للمفعول ، وقتلهم بالرفع عطفاً على ما ، إذ هي مرفوعة بسيكتب ، ويقول بالياء على الغيبة . وقرأ طلحة بن مصرف : سنكتب ما يقولون . وحكى الداني عنه : ستكتب ما قالوا بتاء مضمومة على معنى مقاتلهم . وقرأ ابن مسعود : ويقال ذوقوا . ونقلوا عن أبي معاذ النحوي أنَّ في حرف ابن مسعود سنكتبُ ما يقولون ونقول لهم ذوقوا . .

{ ذَالِكَ بِرِمَا قَدَّ مَتَّ أَيْدِيكُمْ } الإشارة إلى ما تقدم من عقابهم ، ونسب ما قدموه من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية إلى الأيدي على سبيل التغليب ، لأن الأيدي تزاوَل أكثر الأعمال ، فكان كل عمل واقع بها . وهذه الجملة داخلية في المقول ، وبخوا بذلك ، وذكر لهم السبب الذي أوجب لهم العقاب . ويحتمل أن يكون خطاباً لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم) يوم نزل الآية ، فلا يندرج تحت معمول قوله ونقول . .

{ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي قَوْمًا لَّيْسَ بِطَاغُوتٍ لَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } هذا معطوف على قوله : بما قدمت أيديكم ، أي ذلك العقاب حاصل بسبب معاصيكم ، وعدل الله تعالى